مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 07-22
ISSN:2602-5566 EISSN:2716-8999

وباء الأنفلونزا الإسبانية وأثره على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد بعد الحرب العالمية الأولى

The Spanishfluepidemic and its impact on the social and economic conditions in the country after the First World War

بشرى محمود الزوبعي[1]*

[1] الجامعة المستنصرة (العراق)، dr.bushra.m.sa@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/08/04 **تاريخ القبول:2022/04/20**

ملخص:

لم تحظ جائحة الأنفلونزا الإسبانية باهتمام المؤرخين العرب ، وربما يعود السبب في ذلك انشغال العالم العربي بالتقسيمات الجديدة التي شهدتها خارطة الوطن العربي بعد الحرب العالمية الأولى، أضف إلى ذلك ما كان يثقل كاهل المواطن العربي من الفقر والجهل، كل هذه الأسباب دعت المؤرخ العربي إلى تجاوز هذه الجائحة والالتفات إلى المشاكل السياسية التي عصفت بالعالم العربي، لا بل أن المناطق العربية التي أصيبت بهذه الجائحة لم تعرف اسمها حتى، فعزوها إلى الطاعون لتشابه الأعراض المتمثلة بالحمى وصعوبة التنفس، فضلاً عن تعتيم الدول المشاركة بالحرب الكونية الأولى للمعلومات الخاصة بهذا الوباء خشية التأثير على معنويات جيوشها وشعوبها، فبقي هذا الوباء منتشراً في جبهات القتال وفي المدن، ولكن لم يكن هناك أي توجه رسمي من الدول المتحاربة تجاهه وهذا ما سنتطرق اليه في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: انفلونزا اسبانية، وباء، حرب عالمية أولى، أوضاع اجتماعية واقتصادية

Abstract

The Spanish flupandemicdid not receive the attention of Arabhistorians, and perhaps the reason for thisis the Arab world's preoccupation with the new divisions witnessed by the map of the Arab world after World War I, in addition to what was burdening the Arab citizen of poverty and ignorance, all these reasons called the Arab historian to overcome this pandemic and pay attention to the political problems that afflicted the Arab world. Even, they attributed it to the plague due to the similarity of symptoms represented by fever and difficulty breathing, , as well as the blackout of the countries participating in the first global war of information This epidemic was concerned for fear of affecting the morale of its armies and peoples, so this epidemic remained spread on the battle fronts and in the cities, but there was no official direction J of the warring countries to wards him.

Keywords: Spanishflu, epidemic, first world war, social and economic conditions

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

الانفلوانزا الاسبانية مرض يصيب الإنسان بواسطة فايروس من عائلة (H1N1)، والتي من ضمنها فايروس أنفلونزا الخنازير التي اجتاحت العالم عام 2009، وغالبا ما يتم تعريف الأوبئة من خلال انتشارها العالمي، وهذا ما حدث مع فيروس كورونا والإنفلونزا، فقد ظهر المرض لأول مرة في الولايات المتحدة، ثم انتقل إلى أوروبا في صيف 1918، لكنها تفشى بشكل كبير في العاصمة الإسبانية مدريد، ومنها عُرف بالإنفلونزا الإسبانية.

أن تفشي الفيروس في مدريد لم يكن أكبر بكثير من المدن الأخرى، حيث أنه على عكس الدول المتورطة في الحرب العالمية الأولى، كانت إسبانيا، التي ظلت محايدة، حرة في الإبلاغ عن التفشي بالتفصيل، دون القلق بشأن التأثير على الروح المعنوية، كما أن معظم الأخبار عن الإنفلونزا جاءت من مصادر إخبارية إسبانية، لذلك افترض الناس أن تفشي المرض بدأ في إسبانيا، وأصبح يعرف باسم الإنفلونزا الإسبانية(قناة الحرة،، 2020/3/26) .

2- اسبانيا

ظهرت أول أخبار عامة عن الوباء في مدريد. في 22 أيار عام 1918، وكان وباء الأنفلونزا عنوانا رئيسيا في صحيفة (ABC) في مدريد وذكرت الأنباء أن انتشار مرض غريب يشبه الأنفلونزا، وهو مرض وصف بوقتها بالخفيف جداً، وكان مستمرا منذ بداية أيار.(Noticias, 1918, p. 24)

وبسبب الأعياد المحلية السنوية في مدريد والتي تصادف في الأسبوع الثالث من شهر أيار من كل عام، حيث تتجمع أعداد كبيرة من المواطنين في قاعات الاحتفالات الشعبية، مما أدى إلى انتشار العدوى بين المحتفلين في مدريد وتفاقم الوضع الصحي للمدينة(Bertran، 2006).

وكان المرض المبلغ عنه للسلطات غير معروف بعد، حتى انهار بعض الناس أثناء المشي في الشارع، وعرف المرض على أنه حمى لمدة 2-3 أيام، وأعراض الجهاز الهضمي، والشعور بالضيق العام، وكان مرتبطا مع انخفاض معدل الوفيات جدا(Echeverri, 1993).

وبعد أسبوع (28 أيار)، بدأ المرض ينتشر بين الحكومة الإسبانية حيث أصيب الملك ألفونسو الثالث عشر[1]بالمرض، وكذلك رئيس الوزراء وبعض أعضاء الحكومة. وبقي العديد من العمال في منازلهم من العمل بسبب المرض، وبعض الخدمات الأساسية، بما في ذلك الخدمات البريدية والبرقية، واضطرت بعض البنوك ومكاتب حسابات التوفير إلى إغلاق مكاتبها مؤقتاً(Rico-Avello C. , 1964, pp. 1-4)

وكان الوباء خبرا يوميا في ذلك الوقت في الصحف المجلات الإسبانية وتحت عنوان "La epidemiareinante" (الوباء السائد)(Echeverri, 1993)، وأشار بعض المراقبين إلى أن الوباء قد يكون انتشر من فرنسا بسبب حركة القاطرات الكثيفة التي تقل العمال الإسبانيين والبرتغاليين

وبأعداد كبيرة من وإلى فرنسا الذين حلوا بديلاً لنقص العمال الفرنسيين الشباب المشاركين في الحرب(Rico-Avello C. , 1969).

وبسبب سفرهم شبه اليومي عن طريق القاطرات، وبسبب الازدحام في هذه القاطرات، أصبح العمال المهاجرون مصدراً لإدخال فيروس الأنفلونزا وانتشاره في إسبانيا. بدءا من وسط وجنوب فرنسا على مقربة من ساحات القتال ومعسكرات الجيش واتباع مسار السكك الحديدية من الشمال إلى الشرق (البرتغال) ومن الشمال إلى الجنوب الإسباني، حتى انتشرت الأنفلونزا في جميع أنحاء إسبانيا تقريباً(de Prado, 1987, pp. 157-216).

وتراوحت معدلات الوفيات المرتبطة بالأنفلونزا في هذه الفترة الأولى من الوباء بين 0.04 و0.65 حالة وفاة لكل 1000 نسمة(Echeverri, 1993). ولم يزد معدل الوفيات عموما إلا زيادة طفيفة خلال هذه الفترة الأولى من الوباء، وانتهت الفترة الأولى من الوباء بسرعة. بعد شهرين تقريباً، وبدا أن كل شيء عاد إلى طبيعته.

وظهرت الفترة الثانية من الوباء ببطء في أجزاء كثيرة من إسبانيا في أيلول 1918، وبلغت ذروتها في تشرين الأول من عام 1918، ومن المستحيل التأكد مما إذا كان الفيروس قد أعيد إدخاله إلى إسبانيا من فرنسا أو ما إذا كان الفيروس لا يزال يدور داخل البلاد، أو حتى حدوث طفرات في الفايروس، وذلك بسبب صعوبة التعامل مع الفايروسات في ذلك الوقت (Rico-Avello C. , 1964).

واعترفت سلطات الصحة العامة بالدور الهام الذي يمكن أن تلعبه منظومة النقل في مجال السكك الحديدية في انتشار الوباء(de Prado, 1987, pp. 1-4). وتم تنفيذ عدة تدابير لمكافحة العدوى في محطات ومراكز القطارات الداخلية الرئيسية. وتوقفت القطارات المحملة بالعمال البرتغاليين في إسبانيا، في منتصف الطريق إلى البرتغال، ولم يسمح للركاب بالخروج من القطار حتى غادر مرة أخرى إلى البرتغال(de Prado, 1987, pp. 157-216).

وكانت معسكرات التدريب العسكري الإسبانية بمثابة آلية فعالة لنشر القوات؛ حيث تم إعفاء الأفراد العسكريين المرضى المصابين بالأنفلونزا من الخدمة وأرسلوا إلى منازلهم بالقطار للراحة وتلقي الرعاية الطبية(Rico-Avello C.، 1969).

وكانت معدلات الوفيات المرتبطة بالأنفلونزا مرتفعة للغاية، حيث تراوحت بين 0.5 إلى 14.0 حالة وفاة لكل 1000 نسمة، حسب متوسط عدد الوفيات الشهرية من جميع الأسباب للفترة 1913-1917.

تعطلت الحياة الطبيعية للإسبان، حيث تم إلغاء الدراسة في المدارس والجامعات، ولكن التجمعات العامة الأخرى مثل التجمعات الدينية في الكنائس، والتجمعات الاجتماعية في المسارح

ودور السينما، واصلت فعالياتها(Rico-Avello C. , 1964, pp. 1-4). وكانت هناك تحديات صعبة عند محاولة تنفيذ تدابير مراقبة الصحة العامة.

ولم يتوصل مسؤولو الصحة العامة في إسبانيا، مع السلطات المحلية حول الإعلان رسمياً عن وجود وباء مستمر، لأن العطلات المحلية والأعمال التجارية ذات الصلة كانت في ذروتها(Garcia-Duran, 1919).

وشملت تدابير الصحة العامة التي اعتمدتها السلطات السياسية التطهير بالزيت الفينولي أو الكريولين شككت الأكاديمية الملكية الإسبانية للطب في الأساس المنطقي والفعالية لهذه الطرق(Rico-Avello C.، 1969)، ولكن رأي السلطات المحلية كان سائداً، وتم تطهير المسافرين وحقائبهم وعربات السكك الحديدية والترام. كما تم تطهير المسارح والمطاعم والمقاهي والكنائس ودوائر الدولة في بعض المدن الإسبانية، وتم تنظيف الشوارع بمزيج من الماء وهيبوكلوريت الصوديوم.

وحدثت الفترة الثالثة والأخيرة من وباء الأنفلونزا في إسبانيا من كانون الثاني واستمرت حتى أيار من عام 1919. وكانت شدة ومدة هذه الفترة أكثر اعتدالاً من الفترة الثانية من الوباء، وقد أثر في المقام الأول على مناطق إسبانيا التي حدث فيها الوباء الأول، وجنب معظم المناطق الأكثر تضررا من الفترة الثانية. وتراوحت معدلات الوفيات بين 0.07 إلى 1.40 حالة وفاة لكل 1000 نسمة يقدر العدد الإجمالي للأشخاص الذين توفوا من الأنفلونزا في إسبانيا رسمياً بـ 147,114 في عام 1918، و21,235 في عام 1919، و17,825 في عام 1920(Bertran، 2006).

3-بريطانيا

وصل الفيروس إلى بريطانيا بواسطة الجنود العائدين إلى ديارهم من الخنادق في شمال فرنسا، وأعراضه هي التهاب الحلق والصداع وفقدان الشهية، وفي البداية أطلق عليه (حمى الثلاثة أيام)، بسبب استمرار الحمى في المرضى ثلاث أيام. وضرب الوباء المملكة المتحدة في سلسلة من الموجات، وبلغت ذروتها في نهاية الحرب العالمية الأولى. حينما بدأت عودة الجنود الإنكليز من شمال فرنسا بواسطة القطارات، وعند وصولهم إلى مدنهم في بريطانيا، انتشرت الإنفلونزا في كافة المدن البريطانية تقريباً، ثم إلى الضواحي وإلى الريف، ولم يقتصر على الطبقة معينة أو فئة عمرية معينة حيث أصاب كافة الفئات العمرية، وأصيب رئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج[2]بهذا الوباء ولكنه نجا منه(Spanish Flu Pandemic of 1918, 2021).

قد تأثر الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و30 عاما بشكل خاص، وأصاب المرض وانتشر بسرعة في هذه الفئات العمرية. بداية كانت سريعة بشكل مدمر. وكان الناس يموتون في غضون ساعات من الشعور بالأعراض الأولى للتعب والحمى والصداع، كذلك فإن بعض الضحايا

يتطورون بسرعة إلى الالتهاب الرئوي ويبدؤون في التحول إلى اللون الأزرق، مما يشير إلى نقص الأكسجين. ثم يكافحون من أجل الحصول على الهواء حتى يختنقوا حد الموت (Spanish Flu Pandemic of 1918, 2021).

4-الولايات المتحدة الأمريكية:

ظهرت الحمى الإسبانية لأول مرة في الولايات المتحدة في مارس 1918(Byerly, 2014). كانت هناك موجات دورية بسيطة لمدة ستة أشهر، ولكن في أيلول من عام 1918، بدأت موجة ثانية قاتلة للغاية من الأنفلونزا في جميع أنحاء البلاد واستمرت حتى كانون الثاني من عام 1919،حيث بدأت الوفيات بالتزايد في غضون أيام من التعرض للمرض، وبدأت العدوى بالانتشار بين الناس بشكل مريع، وبدأ مؤشر الإصابات يختلف من حيث الفئات العمرية التي يصيبها، حيث أنه كان في بداية الجائحة أي في الموجة الأولى يصيب الأطفال وكبار السن، ولكن خلال الموجة الثانية كان يصيب فئات الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين عشرين إلى أربعين ووفقا لمراكز مكافحة الأمراض، توفي 195،000 أميركي في تشرين الأول من عام 1918 وحده. وفي أقل من عامين، أصيب ما يقدر بنحو 25 مليون شخص في الولايات المتحدة بالفايروس اي25٪ من إجمالي عدد السكان البالغ 103 مليون نسمة في ذلك الوقت، وتوفي 675,000 شخص[3].

وفي بنسلفانيا، توفي 60,000 شخص، وكانت إصابات هذه الولاية أكثر من أي ولاية أخرى. وكانت بيتسبرغ، وسكرتون، وفيلادلفيا المدن الأكثر تضرراً في الولايات المتحدة. ومع عدم وجود لقاحات، كانت الطريقة الوحيدة لمكافحة الفيروس هي إنشاء الحجر الصحي، وتشجيع استخدام المطهرات، وتعزيز النظافة الشخصية الجيدة، والحد من التجمعات العامة. وقد بدأت الحكومة الأمريكية بحملة توعية بواسطة الصحف لإشعار المواطنين بضرورة الاحتراز من هذا الوباء.

وفي الموجة الأولى من جائحة في ربيع عام 1918 كانت خفيفة عموماً من حيث الإصابات والوفيات. وعادة ما يتعافى المرضى، الذين عانوا من أعراض الأنفلونزا مثل القشعريرة والحمى والإرهاق، بعد عدة أيام، وكان عدد الوفيات المبلغ عنها منخفضاً، ومع ذلك، ظهرت موجة ثانية شديدة العدوى من الأنفلونزا مع الانتقال إلى فصل الخريف من نفس العام. وتوفي الضحايا في غضون ساعات أو أيام من ظهور الأعراض، وتحول بشرتهم إلى اللون الأزرق ورئتيهم تمتلئ بالسوائل التي تسببت في اختناقهم((Symptoms

ومع تفشي فيروس كورونا بشكل كبير، أعلنت أغلب دول العالم إغلاق المدارس وتطبيق سياسة التعليم عن بعد، حتى أصبح أكثر من 300 مليون طالب في العالم محرمون من مدارسهم، وهو ما حدث في عام 1918، عندما أعلنت أغلب الدول التي تفشى فيها وباء الإنفلونزا إغلاق المدارس.

ولم يكن مرض الإنفلونزا على قائمة الأمراض المبلغ عنها في الولايات المتحدة في عام 1918م على الرغم من أن معدلات الوفاة من الإنفلونزا والالتهاب الرئوي قد ارتفعت بشكل حاد في عامي

1915 و1916 بسبب وباء تنفسي كبير بداية من كانون الأول سنة 1915. انخفض معدل الوفيات من الإنفلونزا والالتهاب الرئوي قليلًا عام 1917، ثم عاد للارتفاع بشكل حاد بظهور وباء الإنفلونزا الإسبانية في ربيع عام 1918، مما يثير التساؤل عما إذا كان الفيروس المسبب للوباء عام 1915 هو نسخة أقل عدوانية من الفيروس الذي تسبب في وباء الإنفلونزا الإسبانية، أي أنه نسخة لم تكن قادرة على إحداث وباء عالمي بحجم الإنفلونزا الإسبانية. حيث تشير بعض البيانات التي تم جمعها من بعض المعسكرات الأوروبية في ذلك التوقيت إلى أن ذلك ممكن.

في حين يعتقد العلماء أنه إن كان الفيروس الجديد حينها قد تسبب في التأثير على معدلات الوفاة بسبب الإنفلونزا والالتهاب الرئوي في الولايات المتحدة الأمريكية عامي 1915 و1916، لكان من المنطقي أن يتسبب في وباء عالمي في وقت يسبق العام 1918، ولكان عدد كافٍ من الناس عندها قد تعرضوا للمرض سابقًا مما يجعلهم أكثر قدرة على مقاومة المرض، وبين الافتراضيْن لا يمكننا القطع بأي منهما صائب وأيهما خاطئ، مما يُبقي على أصل الفيروس كلغز لم تتم الإجابة عنه(Byerly, 2014)

تضارب الأخبار

حدثت أسوأ الأوبئة العالمية للإنفلونزا في عامي 1918-1919 ففي ذلك الوقت مات نحو 20 مليون شخص. وبلغ عدد الوفيات في إفريقيا بحوالي 1.5 إلى مليونين، وفي الولايات المتحدة أكثر من 600 ألف، وفي بريطانيا 200 ألف، وتوفي ربع سكان ألاسكا، وبعض البلاد أصيبت بموجة ثانية وثالثة انتهت في 1920، ويعتقد أن الوباء أصاب نصف سكان العالم، بينما شعر ربع سكان العالم بأعراض المرض، وبشكل عام هناك تضارب كبير في أعداد الوفيات التي تتراوح ما بين 40 و50 مليوناً، ويقدرهم البعض بمائة مليون، وقتلت الإنفلونزا الإسبانية من الجنود أكثر مما قتل في أثناء المعارك متأثرين بالوباء.

5-أستراليا

ظلت أستراليا خالية من العدوى في معظم تلك الفترة، ولكن بحلول نهاية عام 1919، كانت جميع الولايات الأسترالية تتقاسم حصيلة وفيات قدرها 000 12 شخص. ولم يكن المرض معروفاً ومشخصاً من قبل الكوادر الطبية بعد ولم يكن معروفاً كيفية العلاج أو الوقاية منه (Burnet & F. M. Burnet, 1962).E.Clark, N/D, pp. 69-72) (F. B. Rogers, 1968, pp. 2192-4).

بدأت الوفيات تضرب السفن الأسترالية العائدة بالجنود الأستراليين من جبهات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى أو التي القت حمولتها في جبهات القتال، وعادت لتتزود بالمؤن والذخائر لتعود

بها مرة أخرى إلى الجبهات، حيث سجلت إصابات مميتة لعدد من الضباط والجنود في هذه الرحالات.(The 'Spanish' Influenza Pandemic in Australia, 1912-19, s.d.)

تم تنبيه مسؤولي الحجر الصحي في الكومنولث إلى وجود نوع جديد من الأنفلونزا في يوليو 1918. وقد وصلت أول السفن المصابة في تشرين الأول، ومنذ ذلك الحين، خضعت جميع السفن التي اتصلت بموانئ جنوب أفريقيا ونيوزيلندا إلى الحجر الصحي لمدة سبعة أيام. وقد تم علاج 300 حالة من حالات الأنفلونزا الجائحة ووقعت وفيات عديدة في محطات الحجر الصحي في سيدني في الأشهر الثلاثة التي سبقت تسلل العدوى إلى السكان المحليين، وتم فرض درجات من الحجر الصحي وفقا للحالة الصحية لطاقم السفينة. وحتى في حالة عدم وجود أي سجل للإصابة على الإطلاق، أو في حالة عدم حدوث عدوى لأكثر من أربعة عشر يوماً، كان الركاب والطاقم يُعطون استنشاق كبريتات الزنك، ويجري عليهم قياس درجات الحرارة بصورة دورية، ومن يلاحظ عليه ارتفاع بدرج الحرارة يعزل فوراً، أما إذا وصلت سفينة مع شخص مصاب يتم تطعيم جميع الطاقم المتواجد على متنها فوراً، كما وأجبروا على ارتداء أقنعة الوجه لفترة الحجر الصحي .(Cumpston, 1919, pp. 7-11).

أغلقت المدارس في جميع أنحاء أستراليا لجزء على الأقل من عام 1919 إما بسبب مرسوم الحكومة أو لأن الأنفلونزا قد أصابت المعلمين. ولم تستأنف المدارس في أستراليا بعد عطلة عيد الميلاد حتى 18 آذار، وأغلقت مرة أخرى في وقت لاحق من نفس العام. وقد تأثر الحضور اليومي في الولايات الأسترالية بصورة سلبية، ولا سيما في النصف الثاني من العام. وفي نيو ساوث ويلز، حيث أُغلقت جميع المدارس طوال شهر شباط كانت هناك نداءات مستمرة إلى الآباء الكاثوليك لدفع الرسوم المدرسية على الرغم من أن أطفالهم لم يتمكنوا من الحضور. وكانت النتيجة الأخرى هي أن المعلمين في الإدارات كانوا بارزين في العمل التطوعي لأنهم يتقاضون مرتبات كاملة ولا توجد فصول دراسية(Rankin, 1939, p. 170).

وقد نجت أستراليا من أسوأ الخراب حيث أن معدل الوفيات فيها لم يتجاوز 233 لكل 100 الف مقارنة ب430 في إنكلترا و 500 في نيوزيلندا. وكانت معدلات الوفيات أعلى بين غير الأوروبيين، كما أن بعض قبائل السكان الأصليين قد أُبيدت بالكامل تقريباً. وعزا مدير شؤون السكان الأصليين في كوينزلاند وفاة نحو 300 من السكان الأصليين في رعايته إلى خوفهم الخرافي المطلق (Terry, 1925, p. 146)

6-الوباء في المنطقة العربية

ضرب الوباء المنطقة العربية ومنطقة الخليج على وجه التحديد، وسميت تلك السنة بسنة الرحمة وبدأت في مُحرم وقيل في صفر من عام 1337هـ، الموافق 1918-1919م؛ وحدث الوباء بعد وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وعلى ما يبدو أن مخلفاتها من جثث وما تم استخدامه من

مواد قد ملأت الأجواء وجرَّت أذيال الخراب والأوبئة على العالم، حينما خلَّفت أكثر من عشرة ملايين قتيل، واستُخدمت فيها الغازات السامة والقاتلة لأول مرة. ويذكر الباحثون في تاريخ الأوبئة، أن انطلاقة الوباء في ذلك العام كانت من أمريكا رغم إلصاق المرض في إسبانيا وتسميته باسم الحمى الإسبانية(سنة الرحمة. طاعون اجتاح جزيرة العرب قبل مئة عام - كيو بوست، بلا تاريخ)

أما في الجزيرة العربية فأخذ الوباء اسمَين؛ الأول سُمِّي بـ"سنة الرحمة وسُمِّي بذلك؛ لأن كلَّ مَن مات رددوا دعاء الرحمة له (الله يغفر له، الله يرحمه)، آخذين جانب التفاؤل والرجاء في الله، وكذلك بأن الله رؤوف بعباده ورحيم بهم.

والتسمية الأخرى كانت "سنة الصخونة"، وسُمِّي بذلك لأن أي مرض يُصاب به أحدهم يقولون عنه (مصخن)؛ وهو تعبير عامِّي يُقال للتعبير عن ارتفاع حرارة الجسم.

وحسب ما يرويه كبار السن من أبناء مَن عاشوا تلك الأيام الحزينة، فإن بلدات وقرى كان النعش الوحيد في جامعها يتلَف لكثرة ما يُحمل عليه من الجنائز يوميًّا، فاستعاضوا بالنعش أبواب الخشب؛ كونها أقدر على احتمال الأثقال والنقل المتكرر والاستخدام المستمر. واستخدمت أحيانًا المطارح والبطانيات لحمل الموتى إلى الجامع للصلاة عليهم، ثم إلى المقابر لدفنهم.

كان المرض لا يمهل مَن أصابه أكثر من يوم أو يومَين؛ بل إن بعضهم ينام ليلته ويقبر فجرًا. وتطوَّع كثيرون في غسل الموتى وحفر القبور والدفن؛ لأن العدد فاق قدرات مَن يحفر القبور، وكان المحسن من الناس بالغ الإحسان مَن يقضي طوال يومه في حفر القبور لا يشغله عن ذلك إلا وقت الصلاة، أو لقيمات تعينه على عمله.

ثلاثة أشهر فقط كانت كافية لقطع نسل أُسر وفنائها، فتوقف ذكرها وتاريخها عند تلك السنة "سنة الرحمة".. كانوا يتفقدون البيوت وربما كسروا الباب على مَن فيها، أو تسوروا السور ليجدوا أفراد أُسرة كاملة جثثًا هامدة، يُغَسِّلونهم ويصلون عليهم ويدفنونهم دون عزاء؛ حيث لم يبقَ لهم مَن يتلقَّى العزاء فيهم(سنة الرحمة. طاعون اجتاح جزيرة العرب قبل مئة عام - كيو بوست، بلا تاريخ)

07-مصر:

لم تكن الدراسات العربية التي تناولت الأنفلونزا الإسبانية على قدر أهمية الوباء ولكن بالتزامن مع ظهور فايروس كورونا المستجد، بدأت تظهر بعض الدراسات ولعل من ابرزها كتاب صدر مؤخراً لمحمد أبو الغار[4] والذي وسمه بـ (الوباء الذي قتل 180 الف مصري) عن دار الشروق، بين فيه بحثاً كتبه كريستوفر روز، أستاذ قسم التاريخ في جامعة تكساس عن تأثير الإنفلونزا على مصر في نهاية الحرب العالمية الأولى، قال فيه إنها قتلت آلاف المصريين، وكان لها تأثير اقتصادي وسياسي كبير، فبدأ البحث وراء الخيوط الموجودة في الدراسة، فوجد أنه يربط بشكل مباشر بين

انتشار المرض وضعف مناعة المصريين بسبب الفقر وسوء التغذية، وسخرة الفلاحين المصريين في فيلق العمال، وبين الثورة التي بدأت في الأساس من الريف(المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية، بلا تاريخ)

يصف الكتاب الإنفلونزا الإسبانية كأهم وأخطر الكوارث في التاريخ الحديث، ويقارنه البعض بالطاعون الأسود الذي حدث في القرن الرابع عشر، حيث كانت نسبة الوفيات في المستشفيات تتخطى 25% في أيام الذروة، وكان تأثير الوباء عنيفاً على أوروبا وإفريقيا وأستراليا، ووصل التشابه مع الموقف الحالي أقصاه في احتمالية أن يكون هذا الوباء قد بدأ في الصين، وأنه رصد في الوقت نفسه تقريبا في الولايات المتحدة، التي ربما تكون أيضا مكان بدء الوباء! وإن انتشر الوباء الحالي مع وسائل النقل المتطورة، فقد ساعدت الحرب العالمية على انتشار الإنفلونزا الإسبانية في العالم وقتها.(المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية، بلا تاريخ).

بدأ ظهور المرض في مصر في أيار 1918 في الإسكندرية آتياً من أوروبا عبر البحر، وبدأ ظهوره يتضح في بورسعيد آتياً من البحر أيضاً، وظهر في القاهرة في صورة مخففة وظهر في الدقهلية، وبدأت تظهر بكثرة حالات الالتهاب الرئوي الحادة في المحافظات التي بدأ المرض ينتشر فيها، وفي الوقت نفسه ظهرت حالات التهاب رئوي شديدة مع نسبة وفيات عالية في المنوفية والغربية وجرجا وأسيوط، وفي أواخر عام 1918 انتشر المرض في مصر كلها بسرعة فائقة، وازدادت نسبة الوفيات بطريقة مريعة.(المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية، بلا تاريخ).

وأثر ذلك كله على الأيدي العاملة في الريف، مما أدى إلى خفض الإنتاج الزراعي ورفع أسعار العمالة ورفع سعر المنتج. رفض الفلاحون الالتحاق بفيلق العمال، بسبب مخاطر الموت في الحرب ثم خطر الأوبئة المتفشية، وأدى ذلك إلى معارك مع البوليس أسفرت عن مقتل 200 شرطي في الصعيد، واعترفت لجنة ملنر وزير المستعمرات التي شكلها البرلمان الإنكليزي للتحقيق في أسباب ثورة المصريين بأن هناك أسباباً عديدة للغضب، وبالرغم من تركيز اللجنة على عدة أسباب للثورة في الريف والمدن فإن تقرير الملك فؤاد الصادر في أوائل الثلاثينيات ركز فقط على أن الثورة والغضب سببهما احتجاج المواطنين في المدن طلباً لإلغاء الحماية والمناداة بالاستقلال.(المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية، بلا تاريخ).

ويؤكد أبو الغار أن عدداً من المؤرخين لم يوافقوا على هذا التفسير الذي قدمه الملك فؤاد، ويعتقدون أنه يلزم تفسير لسبب الغضب العارم للفلاحين والعمال الزراعيين، فكيف يقومون بهذا الدور الكبير في تأييد ثورة المدن من دون أن يكونوا مسيسين وغاضبين؟ وبدأ بعض المؤرخين يبحثون عن أسباب للعنف والثورة في الريف وتوصلوا إلى أن الإنفلونزا الإسبانية كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، بعد أربع سنوات من الجوع وسوء التغذية والمرض الذي حدث للمصريين في

أثناء الحرب العالمية الأولى.(المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية، بلا تاريخ).

ويخلص المؤلف إلى إن السياسة البريطانية الظالمة خلال الحرب، أضرت بالمصريين ضرراً بالغاً؛ حيث تركتهم لقمة سائغة للمرض، فرفع أسعار الطعام فوق طاقتهم أدى إلى نقص الغذاء والنمو والمناعة والمقاومة ضد الأمراض، وزاد على ذلك القهر بتجنيد الفلاحين في فيلق العمال التابع للجيش البريطاني، وأفضى ذلك إلى زيادة فرصة الإصابة بالإنفلونزا الإسبانية عندما حل الوباء بمصر، وزادت المضاعفات وهو ما أدى إلى وفاة بين 138 و180 ألف مواطن مصري. وأدى ذلك إلى غضب شديد بين المصريين وبخاصة في الريف، وإلى قلاقل بدأت تظهر في عام 1918 وانتهى الأمر بثورة الريف التي أيدت ثورة المدن بقيادة سعد زغلول، واندمجت في ثورة 1919 التي انتهت باستقلال جزئي لمصر وحصولها على دستور وبرلمان.(المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية، بلا تاريخ).

ولكني اقف على الخلاف من صاحب الكتاب ففي هذا التاريخ نجد الرحلات العلمية مستمرة بين مصر والدول الأوربية حيث تشير المصادر إلى أن عميد الأدب العربي نال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون من فرنسا عام 1918 وعاد إلى مصر فعمل في مجال الصحافة ثم عين محاضراً في كلية الاداب بجامعة الملك فؤاد والتي هي اليوم جامعة القاهرة(الدمشقي، أيار / مايو ٢٠٠٢). كذلك عبد الرزاق السنهوري[5]الذي سافر ضمن بعثة علمية لدراسة القانون بجامعة ليون عام 1921، فهذه الرحلات دليل على أن المصريين لم يلتزموا بقواعد الوقاية حالهم حال بقية مواطني الوطن العربي، أضف إلى ذلك لم يعرفوا أساساً ماهية المرض وطرق الوقاية منه.

أما ربط الثورات العربية التي شهدها عامي 1919-1920 والمطالبة بجلاء المستعمر وخروجه من الأراضي العربية بوباء الإنفلونزا الإسبانية، فأني أجد في هذا تسفيه لمطالب الشعوب العربية ولو كان الأمر كذلك لما تجددت الثورات في سنوات لاحقة بعد زوال المسبب المزعوم.

8-العراق

لم تذكر المصادر المحلية والعربية والأجنبية أن العراق من ضمن البلدان التي اجتاحها مرض الأنفلونزا الإسبانية، على الرغم من تعرض البلاد في عام 1917 إلى وباء الكوليرا وبالتحديد في مدينة بغداد، والذي قضى على أعداد كبيرة من سكانها، أضف إلى ذلك مقتل العديد من القوات البريطانية الغازية بقيادة الجنرال مود الذي قتل بهذا الوباء، ودفن في مقبرة الباب المعظم

قرب مجمع الكليات، وللأمانة التاريخية فقد قامت القوات البريطانية باستدعاء اللقاح الخاص بالكوليرا من لندن، وتمت أول عملية تلقيح ضد المرض في ذلك الوقت.

9-الخاتمة:

ضرب مرض الأنفلونزا الإسبانية مختلف أصقاع العالم ولم يستثنِ بلد إلا القليل، وكان على شكل ثلاث موجات ضربت البلدان كان أقواها الموجة الثانية – الوسطى- حيث أسفرت عن مقتل معظم الضحايا الذين أصابهم المرض.

استخدمت بعض الدول وبالتحديد أستراليا الوباء لأغراض عنصرية فمن خلال الدراسة أشارت المصادر الأسترالية إلى مقتل السكان الأصليين بهذا الوباء وكان وجهة نظرهم انهم يرفضون اخذ اللقاح، لتعلقهم بالأساطير القديمة والعلاجات البدائية، وإن كان الأمر فيه شيء من الصحة ولكن هذا لا يخلي طرف الحكومة من المسؤولية الأخلاقية اتجاه السكان الأصليين لأستراليا.

ظهرت بعض الدراسات العربية مستندة على المصادر البريطانية، تدخل الوباء من ضمن الأسباب الرئيسية للثورات ضد الاستعمار، وهذا تسفيه لقضية عظمى في تاريخ العرب في مقارعة الاستعمار، وكأن الأمر غير متعلق بالدفاع عن حياض البلاد العربية.

أظهر المرض مستوى التخلف والضعف والوهن الذي أصاب العرب خلال تلك الفترة وذلك بسبب الاستعمار العثماني الذي جثم على صدور العرب لأكثر من خمسة قرون، فلم تكن هناك مؤسسات صحية تستطيع تشخيص المرض، أو علاجه أو حتى التنسيق مع الدول الأخرى لوضع بروتوكولات صحية لغرض درء انتشار المرض.

الملاحق

أطفال يرتدون الكمامات اثناء الجائحة

الأولاد ارتداء أكياس من الكامبور حول أعناقهم في وقت حول وقت 1918-1919 الانفلونزا الاسبانية - "طريقة الزوجات القديمة للوقاية من المداخن"، وفقا ل عدد ديسمبر 1946 من مجلة/*لايف*.

كانت الانفلونزا الاسبانية مصدر قلق كبير للقوات العسكرية في الحرب العالمية الأولى. هنا، الرجالغرة المياه المالحة لمنع العدوى في حديقة الحرب في معسكر ديكس(الآن فورت ديكس) في نيو جيرسي، حوالي عام 1918.

قائمة المصادر والمراجع

أولا باللغة العربية

1. *المدن - ما لم يكتبه المؤرخون.. الوباء كصانعٍ لثورة 1919 المصرية*. (s.d.). Récupéré sur almodon.com
2. الدمشقي، خ. ا) .أيار / مايو ٢٠٠٢ .(*الأعلام*.دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر.
3. *سنة الرحمة. طاعون اجتاح جزيرة العرب قبل مئة عام - كيو بوست*. (s.d.). Récupéré sur qposts.com
4. قناة الحرة،، و .(26/3/2020) .*قتلت 50 مليون شخصا عام 1918.. ما أوجه الشبه بين كورونا والإنفلونزا الإسبانية؟*.

ثانيا: باللغة الاجنبية

5. Bertran, J. (2006). *Historia de las epidemias en España y sus colonias (1348—1919),*. Madrid: La Esfera de los Libros.
6. Burnet, F. M., & E.Clark. (N/D). *Influenza (Macmillan, Melbourne, 1942).*
7. *Byerly, C. (2014). The Influenza Pandemic of 1918—1919,". (The Gilder Lehrman Institute of American History) Récupéré sur History Now 40 (Fall 2014): https://www.gilderlehrman.org/history-now/essays/influenza-pandemic-1918%E2%80%931919*
8. *Cumpston, J. H. (1919). Influenza and Maritime Quarantine in Australia (. C. of A. Quarantine Services, Publication(18).*
9. *de Prado, A. (1987). La epidemia de gripe de 1918 en Palencia (Vol. 56). España: Palencia Publicaciones de la Institucion Tello Tellez de Meneses.*
10. *Echeverri, B. (1993). La gripe española: la pandemia de 1918—1919, Coleccion Monografias (132). Madrid: Centro de Investigaciones Sociologicas.*
11. *F. B. Rogers. (1968, December). The Influenza Pandemic of 1918-1919 in the Perspective of a Half Century. American Journal of Public Health, LVIII .*
12. *F. M. Burnet. (1962). Natural History of Infectious Disease. Cambridge: Cambridge University Press, Cambridge.*

13. *Garcia-Duran, R. (1919). Memoria descriptiva y datos estadísticos de la epidemia gripal padecida en la provincia de Valladolid en el año 1918, .* Vall*adolid: University de Valladolid.*

14. *Noticias, R. d. (1918). ABC (Madrid). N,E. Consulté le May 22, 1918*

15. *Rankin, D. H. (1939). The History of the Development of Education in Victoria 1836-1936. Melbourne: Arrow,.*

16. *Rico-Avello, C. (1964). La epidemia de gripe: 1918–1919, , , vol. (pg. 1-4) (Vol. 38). Española: Gaceta Medica Española.*

17. *Rico-Avello, C. (1969). Historia de la sanidad Española (1900–1935). Madrid : Madrid Gimenez.*

18. *Spanish Flu Pandemic of 1918. (2021, 07 26). Récupéré sur historic-uk.com*

19. *Symptoms, F. S. (s.d.). Spanish Flu - Symptoms, How It Began & Ended. HISTORY.*

20. Terry, M. (1925). *Across Unknown Australia . London: Herbert Jenkins,.*

21. *The 'Spanish' Influenza Pandemic in Australia, 1912-19. (s.d.). Récupéré sur Australian Society for the Study of Labour History: labourhistorycanberra.org*

---

[1]-ونسو الثالث عشر (بالإسبانية: Alfonso XIII) (مدريد 17 مايو 1886 – روما 28 فبراير 1941) سمي بالأفريقي أو المنفي وهو ملك إسبانيا منذ ولادته حتى إعلان الجمهورية الثانية في 14 أبريل 1931. تولى السلطة الفعلية في 17 مايو 1902 أي عند بلوغه سن السادسة عشرة. غادر إسبانيا طواعية بعد الانتخابات البلدية في أبريل 1931. والتي كانت بمثابة استفتاء بين الملكية أو الجمهورية. مات في روما، لم يتم نقل رفاته حتى سنة 1980 إلى سرداب رفات الملوك في دير الإسكوريال.

[2]- **ديفيد لويد جورج** (1863 - 1945م). أحد زعماء حزب الأحرار البريطاني .كان رئيسًا للوزراء أثناء النصف الأخير من الحرب العالمية الأولى .كانت اللغة الويلزية اللغة الأم للويد جورج، الذي ولد في 17 يناير عام 1863 في تشورلتون أون ميدلوك في مانشستر، لأبوين ويلزيين .ديفيدلويد جورج (1863 - 1945م). أحد زعماء حزب الأحرار البريطاني. كان رئيسًا للوزراء أثناء النصف الأخير من الحرب العالمية الأولى. كانت اللغة الويلزية اللغة الأم للويد جورج، الذي ولد في 17 يناير عام 1863 في تشورلتون أون ميدلوك في مانشستر، لأبوين ويلزيين.

[3] -By comparison, 45 million people (14% of the US population of 327 million) were stricken with the flu in 2017–2018 resulting in 61,000 deaths. "2017–2018 Estimated Influenza Illnesses, Medical Visits,

Hospitalizations, and Deaths and Estimated Influenza Illnesses, Medical Visits, Hospitalizations, and Deaths Averted by Vaccination in the United States [Preliminary]," Centers for Disease Control and Prevention, https://www.cdc.gov/flu/about/burden-averted/2017-2018.htm [Accessed March 6, 2020]

[4]- طبيب مصري خريج كلية الطب جامعة القاهرة، ونال شهادة الدكتوراه سنة 1969، أسس حزب المصري الديمقراطي عقب ثورة 25 يناير 2011.

[5]-عبد الرزاق السنهوري (1895م - 1971م) أحد أعلام الفقه والقانون في الوطن العربي ولد في 11 اغسطس 1895 بالإسكندرية وحصل على الشهادة الثانوية عام 1913 ثم التحق بمدرسة الحقوق بالقاهرة حيث حصل على الليسانس عام 1917م وتأثر بفكر ثورة 1919م وكان وكيلاً للنائب العام عام 1920 ثم سافر فرنسا للحصول على الدكتوراه والعودة سنة 1926م ليعمل مدرساً للقانون المدني بالكلية ثم انتخب عميداً لها عام 1936م. ينظر: عبد الرزاق السنهوري - ويكيبيديا(wikipedia.org)